

عين بكت من خشية الله



طفت المادة وتبّرّجت الدنيا وانتشرت الشهوات وقست القلوب وأصبح الطرف الدامع أعزّ من يمّ الأنوار
وأندر من الكبريت الأحمر... يحدث هذا وال المسلمين يقرؤون القرآن ، وفيه:
(فَلَيَهْكُوا فَلَيَبْكُوا لَيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (التجوة/82)
(أَفَمَنْ هَذَا الْجَادِيثُ تَعْجَبُونَ * وَتَهْكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَرْتُمْ سَامِدُونَ)
(النجم/59-61)

(إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَّوْا سُجَّدًا وَبُكْرَيَا) (مريم/58)...نعم
يسجدون عند هذه الآية أي يؤدون الحركة البدنية لكن الحسن البصري يقول لهم: "هذا السجود فأين
البكاء؟"

كان هذا في عصر التابعين فكيف لو عاش حتى رأى هذا الانغمام الكامل في شؤون الدنيا وكأن الناس في
دار الخلود ليس أماهم موت ولا قبور ولا قيامة ولا نشور؟
(وُتْلِلَ إِلَزْمَانُ مَا أَكْفَرَهُ) (عبس/17)

يحدث هذا وال المسلمين يقرؤون سنة نبيّهم (عليه الصلاة والسلام) وفيها:
• عينان لا تمسّهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت ساهرة في سبيل الله (رواوه الترمذى)

• ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين (...) قطرة دموع من خشية الله و قطرة دم تهراق في سبيل الله (روايه الترميذى)

• لا يلتج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللbn في الصرع (روايه الترميذى)
• (من السبعة الذين يظلهم الله في ظلمه يوم لا ظل إلا ظله: رجل ذكر الله خالياً ففاقت عيناه) (متفق عليه)

نعم، نؤمن بالقرآن الكريم والسنّة ونحبهما لكن استفحال التوجه المادي وتمكن الدنيا من القلوب أفقدنا الرشد فتصلت المشاعر وجفت المآقى... فينا من يبكي من شدة الفرح أو لدغة الحزن، فيما من يبكي من فرط اللذة أو الألم... هذه أمور يشتراك فيها الناس فأين البكاء من خشية الله تعالى الذي لا يحسن إلا المؤمنون؟

كيف لا يذرف المؤمن الدموع إذا خلا بنفسه وتفكر في حاله؟ هل هي نعم الله تعالى تحيط به من كل جانب طاهرة وباطنة، والعناية الإلهية تكلؤه بينما هو غافل عنها، يستمتع بالنعمة وينسى المنع، بل يبدل النعمة في معصية المنع. ينظر فيرى نفسه سابحاً في لجة من العطايا الربانية والآلاء السماوية، وهو مقصر في حق الله تعالى، فيتذكر قول الله عز وجل : (أَنْ تَقُولَ زَهْنُكَ يَا حَسْرَتَهَا إِلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) (ال Zimmerman/56)، فالجدير به أن يبكي لعل دموعه تطفئ ناراً تلظى تربص به.

يخلو المؤمن بنفسه في محاباته أو اعتكافه أو زاويته المنفردة ويدرك مصيره: أليس أما مه قبر سيؤويه؟
(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَيَّ اللَّهُ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ زَهْنٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (البقرة/281)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْجِعُ فِيهِ وَلَا خُلْقَةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الطَّالِمُونَ) (البقرة/254)

فكيف لا يبكي من هذا حاله؟ أم كيف يستمرأ ما عليه دنيانا من تغافل عن الآخرة وانحراف في حياة الشهوات والغرائز واللعبة واللهوة؟

ألم يأن للمؤمنين أن يتحرروا من سطوة الإعلام الذي حول الوجود إلى ساحة للغناء والرقص والضحك والقمار والتفاهات؟

ذلك هو بيت القميـد..... لو خشعت القلوب لانهمرت العيون بالعبارات بكاء على النفس الأمارة بالسوء وخوفاً من الجليل وطمعاً في جنة لا يدخلها (إلا من أَرَى اللَّهُ بِرَقَابِ سَلَيْمٍ) (الشعراء/89)

ومشكلة القلب والعين مشكلة تربية، وقد قال بعض الصالحين، "أعوذوا أعينكم البكاء وقلوبكم الخشية".

إنَّ البكاء الذي وراءه إيمان وسيلة تربوية فعالة، فانظر في قلبك أيها المؤمن أفيه خشية وخشوع وتعظيم وتأنيب للنفس، وانظر في طرفك الجافٌ وعوْدَة دموعاً صادقة تشقّل ميزانك يوم المعاد والحساب والجزاء، وعلَّم كل هذا أبناءك وطلّبك فإنه من أنجح وسائل الاستقامة، وإياك والغفلة فإنها تجارة ضعيفة.